أعمق من الحب

بقلم : هنري بريوس

ترجمة : توفيق حنا

٢٥ سبتمبر ١٨٩٣

حبيبي لويس

وهكذا انتهى حبنا .. ولن يرى احدنا الآخر بعد اليوم .. ثق بهذا ثقتي انا به .. ماكنت تريد هذا بل كنت تريد انت تقبل كل شيء لنبقى معا ، ولكن كان يجب ان نفترق حتى تبنى حياتك من جديد ... ولست آسفة اذ قاومت ، في اصرار ، هذه الاشياء جميعا ... انت ... انا .. نحن .. حين كنت تبكي وما اكثر ما بكيت وانت تدفن رأسك في فراشنا، ثم وانت ترفع وجهك مرتين ..وجهك المضيء في ظلام الليل ، وحين لم اعد ارى دموعك وانما كنت احسها تدمي يدي ..

نحن نتالم الآن الما شديدا هائلا.. وان هذا ليبدو لي وكانه كابوس .. وربما استغرق المرء اياما ليست بالقليلة لكي يعتقد شيئا كهذا .. وربما ظل المرء حزينا متالما شهورا ليست بالقليلة .. ولكن بعد هذه الشهور وتلك الايام .. ياتي دور النقاهة . وعندئذ ، وعندئذ فقط ابدأ الكتابة اليك مادمنا قد قررنا ان اكتب اليك بين الحين والآخر وعزمنا على ذلك عزما اكيدا وان هذه الرابطةالتي تربطني بك ولا تربطك بي ـ اذ انك لن تعرف عنواني .. ابدا ـ هذه الرابطة ستكون الشيء الوحيد الذي لايجعل وداعنا اليما مؤثرا .

اقبلك قبلة اخيرة .. اقبلك بكل مافي كياني من رقة وعذوبة .. اقبلك من بعد شاسع ، هادىء ، ملائكي !

٢٥ سبتمبر ١٨٩٤

حبيبي لويس

أعود اليك لأحدثك كما وعدت .. ها قد مضى عام منذ ان افترقنا ... اني اعرف جيدا انك لم تنسني ، فما زلنا متآلفين متحدين حتى اني لأعجز عن مقاومة الالم والحزن اللذين يتملكاني ساعة افكر وساعة اذكر ..

على ان هذه الشهور المديدة لم تذهب هباء .. فهي قد اسدلت ستارا من الأسف الحزين على الماضي الذي

ولى .. انه مجرد ستار لا اكثر .. هى اشياء صغيرة بهتت واختفت مع تفصيلات كثيرة .. نعم .. اننا نقرر هذا حين تبعث احدى هاته الاشياء بمحض المصادفة والاتفاق ... لقد حاولت ان اذكر ماارتسم على وجهك من تعبيرات حين رايتك اول مرة ، ولكنى لم اتمكن تماما من استعادتها . فحاول انت ان تذكر نظرتى الاولى .. ستعرف تماما كيف يتمحى كل شيء فى الوجود .

ذات يوم ، ابتسمت .. علام ؟ ولمن؟ ابتسمت ، ولكن لم ابتسم لواحد بعينه ولا لشيء بعينه . انه شعاع مضيء لاح لى وانا فى الطريق سائرة ، فدفعنى الى الابتسام برغم شفتى . لقد حاولت منذ وقت طويل ابتسم قليلا . ولكن اتضح لى انها محاولة من العسير اعادتها . الا انى ابتسمت يوما .. كما قلت لك .. ابتسمت برغمى .. وانى لاريدك ان تذكر هذا الماضى الذى اسعدنا او تنظر فى المستقبل ثم ترفع الراس وتبتسم

١٧ ديسمبر ١٨٩٩

ها انذا من جديد بالقرب منك .. يا حبيبى لويس .. الست كالحلم فى ظهورى حين يسرنى الظهور ! ولكن اظهر دائما فى اللحظة المناسبة . وسط الظلام والفراغ .. واذهب واجيء بالقرب منك ، لكن احدا لن يستطيع ان يلومنى .. ألست اذن حلما من الاحلام ؟

انا ليس بى من التعاسة شيء .. لقد استعدت شجاعتى بفضل هذه الاصيحة الجديدة وهذه الفصول الجديدة وهذه الشمس تنشر الثقة والصداقة .. وحتى هذا الضوء الخافت الذى يملأ النهار يلوح لعينى ممتعا جميلا .

رقصت مرة .. ضحكت كثيرا .. كنت اعد .. أول الامر .. المرات التى كنت اضحك فيها .. ولكن زادت المرات حتى عجزت عن عدها

وبالامس شاهدت عند المغيب حفلا .. كان الجمع يمتد ويمتد .. كحديقة جميلة ناضرة .. ورايتنى سعيدة وسط هذا الجمع الباسم المرح السعيد

انى اكتب اليك لا حدثك عن هذا كله ولا نهى اليك اننى اعتنقت من اجلك دينا جديدا هو « الحنان » . لقد كنا نتكلم عنه فيما مضى دون ان ندرى عنه شيئا ذا بال ..

فلنصل معا متى نعتقد ونؤمن بهذا الدين ... فلنصل من اعماق قلوبنا ..

٦ يوليو ١٩٠٤

الاعوام تمر ... احد عشر عاما ! لقد رحلت انا الى بعيد ... ولقد عدت .. وسارحل مرة اخرى .

ولا شك انه قد اصبح لك منزل يا لويس يا من تقدم به العمر .. منزل يضم عائلة .. وان حياتك اصبحت — من اجل هذه العائلة — على جانب كبير من الاهمية .

كيف انت الآن ؟.. اننى اراك بعين الخيال .. ممتلىء الوجه ، عريض المنكبين ، قد وخط راسك المشيب .. الا انى واثقة من ان وجهك ما زال — كمهدى به — يضيء لحظة الابتسام .. اليس كذلك يالويس يامن تقدم

العمر به ..! اما انا فلن أصف لك كيف تحولت الى عجوز شمطاء .. نعم عجوز .. ان النساء يهرمن بسرعة.. اسرع من الرجال . ولو قد قدر أن اكون بجانبك الآن لتبديت بالنسبة لك كام .. كان يؤكد ذلك ، المظهر الذى

اضفته الشيخوخة على وجهى ، كما كان يعلنه ما يملأ عينى وانا انظر اليك

انك ترى كم كنا محقين فى ان يترك احدنا الآخر هكذا .. مادام قد عاد الهدوء ، وما دمت ـ وقد أمسكت بهذا الخطاب فى يدك قبل ان تفضه ـ قد

عرفت خطى بعد شيء من التفكير ...

٢٥ سبتمبر ١٨٩٣

حبيبى لويس

ها عشرون عـــاما تمضى على فراقنا .. هـا عشرون عـاما تمضى وانا فى التراب .. وان عشت حتى تقرا هذا الخطاب الذى ارسلته لك تلك الايدى الامينة النقيه التى ارسلت لك ، خلال هذه الاعوام الطوال ، الخطابات الاخرى فسوف تكون قد سلوتنى وحينئـــذ تغفر لى ان قتلت نفسى غداة فراقنـا اذ لم اعرف كيف احتمل الحياة بدونك .

انه امس .. امس حين افترقنا.. انظر جيدا الى التاريخ الذى لابد وانك لم تتمكن من قراءته جيـدا على راس هـذا الخطاب .. انه بالامس .. فى غرفتنا .. حين كنت تبكى ورأســك مدفون فى الفراش .. غارقا فى ضعفك وفى الملك ، وكنت اراك خلالهمـا طفـلا كبيرا . انه بالامس .. والليل مسدل استاره على الكون .. ونحن بالقـرب من تلك النـافذة التى كانت تطل على الفناء نصف مفتوحة .. حين انحدرت دموعك فى غـزارة على يـدى .. انه بالامس .. حين كنت تصرخ .. وحين لم اقل انا شيئا .. ولقد كلفنى موقفى هذا كل مابى من قوة .. واليـوم .. كتبت على مائدتنا .. وسط اشيائنا جميعا .. وسط هـذا الاطار الرائع الذى كان يضمنا .. كتبت الخطابات الاربعـة التى استلمتهـــا فى فترات متباعدة ، وانتهيت من هذا الخطـاب الذى به انتهى كل شيء . وهذا المساء .. ساعد كل شيء حتى تصلك هـذه الخطابات فى مواعيدها وساعد كل شيء حتى لايرانى احد ثانية ..

ثم .. اختفى من الحيـــاة .. ومن العبث ان اقص عليك كيف سيكون اختفائى . ان الحديث فى هذه الاشياء الاليمة ربما يحز فى نفسك حتى بعـد هذه الاعوام الطوال .

المهم بالنسبة لى ، هو انى افلحت فى ان افصلك عنى دون جراح او آلام .. وانما فى حرص وفى حيطة وفى حنو وفى رقة . انى اريد ان اعيش حتى ارعاك وليس هنـاك مجهود يذكر وما يبذله الانسان عند افتراقه عمن يحب .. انك برهافة حسك لا تحتمل هذا المجهود . سوف امثل هكذا بالقـرب منك مرات قليلة متباعدة . وسانطفىء شيئا فشيئا امام عينيك دون ان اؤلم قلبك الرقيق وحين اعلن لك الحقيقة ، اكون قـد كسبت وقتا كافيـا حتى لاتفهم فتحس وتتالم . يا الهى ! انى احس ياحبيبى لويس مايعتريه موتى . ان فى هذا الحديث الســـامى معجزة رائعة .. حـديث « اليـوم » حيث نتحدث هذا الحديث الخافت الهامس من هـذا البعد البعيد .. اتحـــدث وتصغى .. انا ولم اعـد الا انت .. وانت ولا تذكر من كنت انا .. وحيث كلمة « الآن » تختلف اختـلافا جـد عظيم لمن كتبها ولمن يقراها

والآن خلال هذا الامتداد العظيم من الزمان .. خـلال الابدية .. ولو ان هذا يكاد يبدو عقيما .. اقبلك قبلة صادقة ، ثم .. اقف .. اذ لا اجرؤ ــ خوف ان يكون الحزن مايرح يرهقنى فاؤلمك اذ ذاك ــ لا اجرؤ ان اعترف لك بكل مايمكن ان يوحى به الحب الكبير من جنون وما يوحى به الحنان الذى هو اكبر واعمق .